-٨-

لا... للعنصرية!

إن العنصرية التي يواجهها البدناء، عنصرية حقيقية، وإذا كان الله قد سخّر للسود في الولايات المتحدة شخصيات عظيمة أسهمت في تحريرهم من الرق مثل مارتين لوثر كنج الذي قال جملته الشهيرة وتحولت بعده دستوراً للحرية ضد التمييز العنصري بناء على اللون: "أنا لدي حلم" وكان حلمه أن يعيش بنو وطنه مواطنين متساوين في حقوق المواطنة، فإن عالم البدناء بحاجة إلى مارتين لوثر كنج، لكننا نريده أن يخرج بالبدناء من عالم التمييز والطبقية التي يمارس ضدهم.

إن اللغة العربية والثقافات المختلفة تحفل بمظاهر متباينة وواضحة لا تعبأ بالبدناء ولا تلقي لهم بالاً بداية من مقاعد الدرجة السياحية في الطائرات، وليس نهاية بتشبيه السمين بالحيوانات!

دب... عن السمين!

ألا يقول الناس للسمين دباً؟!

قد أستوعب القصة لو كانت مجتمعاتنا تحفل بالحيوانات، وتقترب منها، وتدلعها، وتجعلها بديلة للأبناء

كما في الغرب. لكنها في سياقها المحلي أو العربي نقيصة واضحة، ومحاولة للتهكم، وعنصرية طافحة.

لا تقولوا لي إننا نحفل في مجتمعنا بالحيوانات، فنحن انتقائيون في ذلك، نفخر بالذئب، مع أنه غادر، وبالصقور، وببعض الطيور الجارحة. وليس في منظومة فخرنا -بأي وجه- أن نجعل الدب مما يشبه به الناس على سبيل التلطيف أو التكريم أو نحوهما!

أعرف صديقاً، كان بديناً، وذات يوم حاول أن يعبر شارعاً فتأخر في تجاوز الشارع، ما استفز سائق سيارة يبدو أنه والحياء على عداء، فقال له السائق بأعلى صوته: يا دب!

كان النداء الصاخب تعبيراً عن احتجاج السائق على هذا السمين المسكين وهو يتأخر في عبور الشارع نظراً لثقل وزنه.

وكانت هذه الكلمة الجارحة، سبباً في أن يبدأ صاحبنا مشروعاً للتخفيف من وزنه أحالته نتائج هذا المشروع إلى سمين سابق.

من جديد، لا تقولوا إن الدافع حقق نتيجة إيجابية، فتسببك في الألم إن لم تكن جراحاً مختصاً أمر غير مقبول، ولو أفضى إلى ما قد نراه جميلاً!

إن المشكلة الحقيقية هي أن العنصرية ضد البدناء تشكل أحفورة من أحافير ثقافتنا، بل هي منتشرة في ثقافات أخرى متعددة.

لماذا يُصر صُنّاع الإعلانات بإفراط متناهٍ على استخدام فتيات نحيلات في إعلاناتهم؟! وإذا أرادوا إشراك الرجل، اختاروه ذا جسم رشيق.

لماذا يغيب أصحاب الأوزان الثقيلة من الجنسين عن الظهور في الإعلانات، إلا إذا كان المُنتج يتعلق بتخفيف الوزن، فيستخدمون السمين، ليقولوا له إن منتجنا سيقضي على شكلك الحالي!

دعك من الإعلانات... ماذا عن صناعة السينما؟! ائتوني بنجمة سينمائية لم تكن رشيقة؟! وهل هناك عنصرية أكثر من ذلك؟!

دعك من ذلك كله، واذهب إلى الأدب لتجده يضج بالعنصرية ضد البدناء!

ألم تسمع كعب بن زهير وهو يسطر ملحمته الاعتذارية أمام رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلا يتغنى من محبوبته إلا بنحافتها!

هيفاءُ مُقبلةً عجزاءُ مدبرةً

لا يشتكى قِصَرٌ منها ولا طولُ

لا بل ها هو بشار بن برد ثانية يكرر ما قاله كعب بقوله:

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة

لم تجفِ طولاً ولا أزرى بها القِصَرُ

غراءَ كالقمرِ المشهورِ حين بدت

لا بل بدا مثلها حين استوى القمر

لا تقل لي مرة أخرى، إن بشاراً كان كفيفاً، لذلك لم يتخيل أن هناك امرأة سمينة ليتغنى بها، فقد مر معنا أنه كان من أعضاء نادي المئة!

الفقهاء ينتصرون للبدناء!

إذا كان ما سبق، إمعان في الظلمة، فإن في آخر

النفق ضوءًا كما يقول أرباب التفاؤل، وأنصار الصباح، وإن طال ظلام الليل. يلزمني أن أكون مقسطاً، فأقول من باب الإنصاف إن بعض الفقهاء انتصروا للبدناء، فمن الكتب المعتمدة لدى المذهب الشافعي كتاب (المنهاج) وهو عمدة متون الشافعية، وحظي بشروح لا تكاد تعد، ومن أهم حواشيه، حاشية العلامة الجمل، وفيها ذكر أن السمن المفرط عذر عند فقهاء الشافعية للتخلف عن صلاة الجماعة[1] .

الشافعية، يستندون في ذلك إلى حديث رواه ابن حبان[2]، وبوب عليه: (ذكر الباب الرابع وهو السمن المفرط الذي يمنع المرء من الحضور)، وهو حديث أنس بن مالك، قال: قال رجل من الأنصار -وكان ضخماً-، للنبي -صلى الله عليه وسلم-: إني لا أستطيع الصلاة معك، فلو أتيتَ لمنزلي فصليت فيه فأقتدي بك، فصنع الرجل له طعاماً ودعاه إلى بيته، فبسط له طرف حصير لهم، فصلى عليه ركعتين" .

(١) (كتاب الصلاة، باب في صلاة الجماعة) (حاشية الجمل) (٢٧/٣).

(٢) صحيح ابن حبان (٢١٠٥).

الله أكـبـــر، هل تـأملت أدب أنس -رضـي الله عنـه-، عندمـا وصـف الرجل بالضـخم، ولـم يكن عنصـرياً ولا فظّاً في وصفه؟!

ومن لطائف تفـريعات الفقهـاء فيـما يخص السـمنة، أن السـنة هي التـــربيـع في النعش أي أن يحـــمل نعش الميت أربعـة، واستثنوا من ذلك أن يكون المحـمول سمـيناً، فيـمكن زيادة العـدد بما يتناسب وسـهـولة حـمله اسـتناداً إلى مـا حـدث في جنازة ابن عـمـر -رضي الله- عنه حـيث كـان سميناً.

ومن اللطائف أيضـاً أن السـمنة تذكر في أبواب عيـوب النكاح، حيث إذا كانت المرأة لا تطيق وطء السـمين لأنهـا لا تحتمله فهل لها الفسخ؟! وهو موطن خلاف[1].

فزعات الأمهات:

من أكثر الأشـياء لطفـاً، أن الأم -أيضـاً- عادة مـا تكون

(١) تفـضـل الصـديق يوسـف الديني -وهو من أعـضـاء نادي المئـة حـتى اللحظة- فـأرسل لي هـذه المعلومـات المهمـة، تعليقـاً على الجـزء الذي نشـرته من ذكريات سـمين سابق، فله كل الشكر والامتنان.

حضناً (معنوياً بطبيعة الحال هنا) للسمين، يلجأ إليه هرباً من عنصرية الآخرين، وجفاء الناس، وتعليقات السخفاء.

وعادة ما تدافع الأم عن ابنها وعن سمنته بعيداً عن المنطق، وإذا ذكر أحد سمنة ابنها أو ابنتها استشاطت غضباً، وقالت: أعوذ بالله من عينك، وطالبت المتحدث بأن يذكر اسم الله على فلذة كبدها، خوفاً من العين والحسد.

ولا تدري هذه الأم التي تنضح طيبة أن سمينها الظريف يتمنى أن يصاب بعين تخسف بعشرات الكيلوغرامات من وزنه الزائد، لو ضمن مسار حسد الحسود هذا.

وعادة ما يتندر الأقربون من البدين عند ممارسة الرياضة، وبخاصة كرة القدم، بأن البدين لا يصلح ليشارك بينهم لاعباً، إلا حارساً للمرمى، ليس لخفته وقدرته على التقاط الكرات الصعبة واللعبات الماكرة، بل لأنه سيسد المرمى سداً بمجرد وقوفه مغطياً الخشبات الثلاث.

وكم نفر الناس من السمين إذا حضر موعد الوجبات، فيتجنبون الجلوس إلى جواره على مائدة الطعام، لأنهم يخشون أن يفتك بما حولهم، ونسوا أن العالم يتجه لتقدير

المتخصصين، وأنهم سيحظون بالقرب منه بانتقائية فريدة تميز أطايب الطعام، وتستبين أحسنه، وإن أكل كميات تضاعف كمية من حوله فالعبرة كما يقول المختصون بـ"الكيف لا بالكم"!

ومن الصور النمطية المغلوطة تجاه السمين أن شحومه تضغط على مكامن التفكير فيه فتقلل من نشاط ذكائه، وكم من بدين وصم ببطء الفهم ظلماً وعدواناً، وغير بعيد عن ذلك ظن بعض النساء، أن السمين قليل الرومانسية، وهو من بعض الظن المصنف إثماً دون شك.